

قواعد النقد الأدبي في العربية

للأستاذ محمد ناجي



أتى على المصور الأدبية في اللغة العربية أزمان قويت فيها الروح المعنوية فسال كإسيل الماء الصافي ، فلم تكثرث للفظ ، وغطت الفكرة على كل شيء فكانت قوية قاهرة ومهابة تنمو الجاه ويقدرها النقاد ، وأتى على اللغة العربية حين آخر خبا فيه بصيص هذه الأفكار ، فمدد الكتاب إلى المساحيق والطلاء ليخفوا ضعف أفكارهم بالمحسنات اللفظية غير الطبيعية . ومع أننا في النقد الحديث نحبذ كل التجسيد الفكرة القوية الساطعة التي هي نوع من الإلهام يتصل بالخلد ، ولا يتقيد بزمان ولا بمكان ، إلا أننا - مع ذلك - نقدّر كل التقدير الغالب الذي تتجلى فيه الفكرة ، إذ أن من توافقهما يخرج الأسلوب الحسن المناسب ، ونعرف الأسلوب بأنه حسن تأدية اللفظ للفكرة التي يحتويها ، وكلما كان الأسلوب محسناً في تأدية هذه الفكرة صمد لماول

النقد الأدبي

وهناك عناصر كثيرة تكون ذلك الأسلوب وتطبعه بطابع خاص ، فهناك شخصية الكاتب تفيض في أسلوبه ، وهناك « ملامح » تلك الشخصية تتجلى في استعمال ألفاظ خاصة تنوعها كما تنوع الدقة الموسيقية دليل الانسجام الموسيقي . ومن يقرأ أسلوب الكاتب الإنجليزي دكنز Dickens يصادف ذلك النوع من خفة الروح تداعبتا من خلال ألفاظه ونكاد نتنظرها قبل أن يقولها ، فهي تميز أسلوبه تميزاً تاماً عما عداه

هناك إذن عوامل شتى تتجمع فيما نسميه الأسلوب وتتألف من شخصية الكاتب ومن يثته ، ومن الأفكار المتعارفة في وقته ، ومن مجرى الحوادث السياسية والاجتماعية . لكن ماهي القواعد الأدبية والأقيسة التي يمكن أن نحكم بها على الأسلوب كما عرفناه ؟ لا شك أن لكل قطعة حسنة الأسلوب جيدة التعبير عن المعنى الكائن خلفها ، روحاً خاصاً قد نفهمه ؛ وقد لا يمكن مهما حاولنا بأقيستنا أن نمرف نوع الجمال والسحر اللذين فيه ، فغاية ما يمكننا أن نقول عنه إنه جميل . ثم هناك الجمال اللفظي الذي

يحمي الفكرة المعنوية ، وهذا الذي يمكن أن نطبق عليه أقيستنا الصغيرة . وقد نقف أحياناً مكتوفي الأيدي أمام القطعة الشعرية فلا يمكننا أن نمبر عن الجمال الروحي الذي بها ، إلا أننا قد نبسط هذا التأثير بأن نقول : إنه ملك علينا مشاعرنا فحسب وأنه حاز رضانا وإعجابنا . ولما كانت مشاعرنا تنحصر في هذه الحواس الخمس وفي ذلك الشعور الباطن بالجمال الذي نملكه ، وفي تلك الأفكار التي تحوي نماذج خاصة تقيس عليها كل جمال نراه ، فيمكننا أن نقول : إن القطعة الأدبية تدخل علينا السرور عن طريقين كبيرين : أحدهما عن طريق العين والريثيات فهي ترسم لنا صورة بارزة وأخيلة قوية ناطقة ، وثانيهما عن طريق الأذن بواسطة السحر الموسيقي . فانسجام القطعة الأدبية بمرضاها لنقدنا فوق كل شيء عن طريق البصر والسمع ، ثم عن طريق قوة العاطفة والفكرة . وعلى هذا الأساس يمكننا أن نضع قواعد بسيطة للنقد الأدبي

أولها اختيار اللفظ الذي يحسن أداء المعنى المقصود . يقولون عن الشاعر أو النثر المحيد إنه لو أنزع لفظ من كلامه لما أمكن وضع بديل منه يؤدي نفس المعنى في نفس المكان ؛ وتبين مقدرة الكاتب من هذا الاختيار للفظ الذي لا يمكن البعث به ولا التبديل فيه . ومن هنا تبين قوة أسلوب الكاتب ومرونة ذلك الأسلوب لينى بالفرض المطلوب منه في كل قطعة على اختلافها ، ولتأدية الأغراض المختلفة في القطعة الأدبية

يلي ذلك اختيار الكلمات وتنسيقها تنسيقاً موسيقياً ، أو كما يربط الرسام ألوانه ليخرج لنا الصورة الفنية . ولنتظر في قوله تعالى : (اليوم أكلت لكم دينكم ، وأعمت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً) فترى فيها الانسجام اللفظي البديع الذي لا يتأتى لأى تنسيق سواه أن يرتفع إليه . فقوله « أكلت » تراء يتردد في لفظ « أعمت » وفي لفظ (الرضى) الإلهي ، كما يتردد النغم الطيب ، فهذا إكمال الدين من جانب البشر ، يقابله « إتمام » النعمة من جانب الله ، وينتج عنه الرضاء . ثم انظر إلى لفظ « الدين » في الأول و « الدين » في الآخر ، ولفظ نعمة في الوسط وهي ترادف آخر للفظ « الدين » . ولست أجد أبداع في ترتيب اللفظ من آي القرآن

على تمييز هذا المجموع عن ذلك . إن لكل قوم ولكل زمان نماذج خاصة للجمال ، وقد يفهم كل من الجمال بقدر ما توارثه من صور الجمال في ذهنه أو بقدر ما يصبو إليه في زمنه .

قد يقرأ القارئ قطعة ثم يمود إليها فيفهم منها غير ما فهمه في المرة السالفة . ولشكبير بمض قطع كلما قرأها تبين لك معنى جديد ، فكأنما الكاتب قد ملك ناصية العاني وهو يكتب إليك من عيابه بيانه فتقرأ تعبيره يوماً ما ثم يذهب بك الزمن فتقع في نفس الظروف والملابسات التي عرضت لذلك الكاتب فتتذكر اللفظ الذي كتبه وترى معنى جديداً

حقاً ما أشق مهمة الناقد وما أوهن قواعد النقد !

محمد ناجي

أما الناحية الثالثة فهي الوزن والقافية في الشعر . ولست أدري لماذا أريد أن تنحصر من هذه القوافي التي تتحكم في أخیلتنا بلا مبرر والتي تلزم الشاعر ترتيباً من الأفكار قد يختل فيه الانسجام ، ويضيع عنده الجمال . ولست أدري ما الذي يحول بيننا وبين أن نخرج على هذه البحور « الأثرية » التي قيدنا بها الخليل بن أحمد . ولست أدري لماذا نظل في الموسيقى الفردية ولا نخرج منها إلى الموسيقى الإجماعية Orchestral Music التي يتكون فيها الجمال الفني من تضافر أنغام مختلفة لآلات كثيرة تسام كل منها بنصيبها في تكوين القطعة . وليس من شك في أن للبحور الشعرية موسيقى خاصة ، ولكن موسيقى كل بحر إغماهى موسيقى فردية ، فلنجعل للقافية وللوزن مكانهما في الشعر ولكن

يكون أوسع من مكان الترجيع المل في الموسيقى النردية . وهناك إلى جانب هذا تمثيل الصوت بحيث يؤدي المعنى ويسمى Onomatopœia ، وقد نظم تينسون Tennyson مقطوعة شعرية عن البحر ، نتخال وأنت تقرأها أنك تسمع صوت جرجرة البحر وصخب الأمواج ، وقد تم الشاعر ذلك بانتخاب أحرف خاصة . ثم المجاز والتشبيه ، وهما كيان ينبنى أن يجعلهما يخدمان الفكرة لا أن يخدمهما ، فهناك مواقف نحتاج فيها إلى التشبيه ، ولا يمكن فهمها بدونه ، خاصة إذا كان المعنى المراد تأديته إغما يقرب للذهن إن نحن ألبسناه صورة خاصة من الشبه . أما الناحية الأخيرة من نواحي النقد فهي التأثير الفني الإجمالي

لكن ما هو هذا التأثير الفني ؟ راخالي أرى أولئك الذين ينتخبون ملكات الجمال ، فيعمدون إلى قياس التناسب الجسدي لمعرفة التناسق الجمالي ، يسألون أنفسهم نفس السؤال : ما هو الأثر الإجمالي الذي يملطيه هذا التناسق الجسدي في مجموعه ؟ وفي اعتقادي أن الإجابة على هذا السؤال تتوقف في النهاية

من اصداق البحار الجميلة



نتق مصانع الأزرار التابعة لشركة مصر
لمصايد الأسماك بالسويس أجمل أنواع
الاصداق فتصنع منها أزرار مختلفة
الألوان والأحجام

اطلبوا دائماً
الأزرار صنع مصر
انتاج

مصانع الأزرار بالسويس
التابعة لشركة مصر لمصايد الأسماك